﴿ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ فليقُلْ: بلى، وأنا على ذلك من الشَّاهِدِين(١). والله أعلم.

سورة «العَلَق»

وهي مكِّيةٌ بإجماعٍ، وهي أوّلُ ما نزل من القرآن، في قول أبي موسى وعائشةَ رضي الله عنهما(٢). وهي تسعَ عَشْرةَ آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ①﴾

هذه السورةُ أوّلُ ما نزل من القرآن في قولِ مُعْظَمِ المفسِّرين. نزل بها جبريلُ على النبيِّ ﷺ وهو قائمٌ على حِراءٍ، فعلَّمه خمسَ آياتٍ من هذه السورة.

وقيل: إنَّ أول ما نزل «يا أيُّها المُدَّثِّر»؛ قاله جابر بنُ عبد الله، وقد تقدَّم(٣).

وقيل: فاتحةُ الكتابِ أوّلُ ما نزل؛ قاله أبو مَيْسَرةَ الهَمْدانيّ(٤).

وقال عليّ بنُ أبي طالب ﷺ: أوّلُ ما نزل من القرآن ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١](٥).

والصحيحُ الأوّل؛ قالت عائشة: أوّلُ ما بُدِئ به رسولُ الله ﷺ الرؤيا الصادقةُ،

---

(١) سنن الترمذي (٣٣٤٧)، وأخرجه أيضاً أحمد (٧٣٩١)، وأبو داود (٨٨٧) وهو من طريق إسماعيل بن أمية، عن أعرابيٍّ، عن أبي هريرة به. قال الترمذي: هذا حديث إنما يروى بهذا الإسناد عن هذا الأعرابي عن أبي هريرة، ولا يسمَّى.

وذكر ابن أبي حاتم في العلل ٢/ ٩٠ عن أبي زرعة قوله: الصحيح إسماعيل بن أمية عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبي هريرة موقوفاً.

(٢) سيأتي قولهما قريباً.

(٣) في بداية تفسير سورة المدثر ٢١/ ٣٥٥ .

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٥٠١ وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٤٢ ، وأبو ميسرة هو عمرو بن شرحبيل.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٤٢ .

فجاءه المَلَكُ فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ خَلَقَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾. خرَّجه البخاريّ[١].

وفي الصحيحين عنها قالت: أوّلُ ما بُدِئَ به رسولُ اللهِ ﷺ من الوَحْي الرؤيا الصادقةُ في النوم، فكان لا يَرَى رؤيا إلّا جاءت مِثلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثم حُبِّب إليه الخَلاءُ، فكان يخلو بغارِ حراءٍ، يتحنَّثُ فيه اللَّياليَ ذواتِ العددِ [قبلَ أَنْ يَرْجع إلى أَهلِه]، ويَتزوَّدُ لذلك، ثم يرجعُ إلى خديجةَ فيتزوَّدُ لمثلها؛ حتى فَجِئه الحقُّ وهو في غارِ حِراءٍ، فجاءه الملك فقال: «اقرأ»، فقال: «ما أنا بقارئٍ» قال: «فأخذني فغطَّني حتى بلغ مني الجَهْدُ، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلتُ: ما أنا بقارئٍ. فأَخَذني فغطَّني الثانيةَ حتى بَلَغَ منّي الجَهْدُ، ثم أَرْسَلَنِي فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأَخَذَني فغطَّني الثالثةَ حتى بلغ منِّي الجَهْدُ، ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ خَلَقَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَـٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾» الحديثَ بكماله[٢].

وقال أبو رجاء العُطارِديُّ: وكان أبو موسى الأشعريُّ يطوفُ علينا في هذا المسجد - مسجدِ الْبَصْرةِ - فيُقعِدُنا حِلَقاً فيقرِئُنا القرآن، فكأنِّي أنظرُ إليه بين ثوبين له أبيضين، وعنه أخذتُ هذه السورةَ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾. وكانت أوّلَ سورةٍ أنزلها الله على محمدٍ ﷺ[٣].

وروتْ عائشةُ رضي الله عنها أنها أوّلُ سورةٍ أُنزلت على رسول الله ﷺ، ثم بعدها «ن والقلم»، ثم بعدها «يا أيها المدثر»، ثم بعدها «والضحى». ذَكَره الماوَرْدِيّ[٤].

---

(١) برقم (٤٩٥٥).

(٢) صحيح البخاري (٤٩٥٣)، وصحيح مسلم (١٦١)، وما سلف بين حاصرتين منهما، وهو عند أحمد (٢٥٩٥٩).

(٣) أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن (٢٤)، والطبري ٢٤/ ٥٣١، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٢٥٦.

(٤) في النكت والعيون ٦/ ٣٠٤، وأخرجه ابن الأنباري في المصاحف، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٦٨.

وعن الزُّهريِّ: أولُ ما نزل سورةُ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ إلى قوله: ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ فحزِن رسول الله ﷺ، وجعل يعلو شواهِقَ الجبالِ، فأتاه جبريلُ فقال: إنَّك نبيُّ الله، فرجع إلى خديجةَ وقال: «دَثِّروني وصُبُّوا عليَّ ماءً بارِدًا»، فنزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾(١).

ومعنى «اقرأ باسمِ ربِّك» أي: اقرأ ما أُنزل إليك من القرآن مُفْتتِحاً باسمِ ربِّك، وهو أنْ تذكر التَّسمية في ابتداءِ كلِّ سورةٍ. فمحلُّ الباءِ من «باسم ربِّك» النصبُ على الحال. وقيل: الباءُ بمعنى على، أي: اقرأ على اسمِ ربِّك. يقال: فَعَلَ كذا باسم الله، وعلى اسم الله. وعلى هذا فالمقروءُ محذوفٌ، أي: اقرأ القرآن، وافْتَتِحه باسْمِ الله.

وقال قومٌ: اسم ربِّك هو القرآنُ، فهو يقول: «اقرأ باسم ربك»، أي: اسمَ ربِّك، والباءُ زائدةٌ، كقوله تعالى ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، وكما قال:

سُودُ المَحاجِر لا يَقْرأْنَ بالسُّوَرِ(٢)

أراد: لا يقرأنَ السُّوَرَ.

وقيل: معنى «اقرأ باسم ربِّك»، أي: اذْكُر اسمَه. أَمَره أن يبتدئَ القراءةَ باسم الله(٣).

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢﴾

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ يعني ابنَ آدمَ ﴿مِنۡ عَلَقٍ﴾ أي: من دمٍ؛ جمع عَلَقة، والعلقةُ: الدَّمُ الجامدُ، وإذا جرى فهو المسفوح. وقال: «مِنْ عَلَق» فذَكَره بلَفْظِ الجَمْعِ؛ لأنه أراد بالإنسان الجمعَ، وكلُّهم خُلِقوا من عَلَق بعد النطفة. والعَلَقَةُ: قطعةٌ من دمٍ رَطْبٍ، سمِّيت بذلك لأنها تَعْلَقُ لرطوبتها بما تَمُرُّ عليه، فإذا جَفَّتْ لم تكن

(١) الكشاف ٤/ ١٨٠، وأخرجه بنحوه عبد الرزاق ٢/ ٣٢٧، والبخاري في آخر الحديث (٦٩٨٢)، والطبري ٢٣/ ٤٠٣، وينظر فتح الباري ١٢/ ٣٥٩.

(٢) وصدره: هن الحرائر لا ربَّاتُ أَحْمِرةٍ، والبيت للراعي النميري، وهو في ديوانه ص ١٢٢، وسلف ١/ ١٠٧.

(٣) والباء على هذا القول زائدة أيضاً، كما ذكر الواحدي في الوسيط ٤/ ٥٢٨، والبغوي ٤/ ٥٠٧.

عَلَقةً؛ وقال الشاعر:

تركناه يَخِرُّ على يديه يمجُّ عليهما عَلَق الوَتِينِ[١]

وخَصَّ الإنسانَ بالذِّكرِ تشريفاً له. وقيل: أراد أن يبيِّن قَدْرَ نعمتِه عليه، بأنْ خَلقَه مِن عَلَقةٍ مَهِينةٍ، حتى صار بشراً سَوِيًّا، وعاقلاً مميِّزاً.

قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ﴾ تأكيدٌ، وتمَّ الكلام، ثم استأنفَ فقال: ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ أي: الكريم. وقال الكلبيُّ: يعني الحليم عن جَهْلِ العباد، فلم يُعَجِّل بعقوبتهم[٢]. والأوّلُ أَشْبَهُ بالمعنى؛ لأنه لمَّا ذَكَر ما تقدَّم من نِعَمِه، دلَّ بها على كَرَمه.

وقيل: «اقرأ وربُّك» أي: اقرأ يا محمدُ وربُّك يُعِينُك ويُفْهِمُك، وإنْ كنتَ غيرَ القارئ. و«الأكرمُ» بمعنى: المتجاوِزُ عن جَهْلِ العباد.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝﴾

فيه ثلاثُ مسائلَ:

الأولى: قولُه تعالى: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ يعني الخطَّ والكتابة، أي: علَّم الإنسانَ الخطَّ بالقلم. ورَوى سعيدٌ عن قتادةَ قال: القلمُ نعمةٌ من الله تعالى عظيمةٌ، لولا ذلك لم يَقُمْ دينٌ، ولم يَصْلُحْ عيشٌ[٣]. فدلَّ على كمالِ كرمِه سبحانه، بأنه عَلَّم عبادَه ما لم يَعْلَموا، ونَقَلَهم من ظُلْمةِ الجَهْلِ إلى نور العلم، ونَبَّه على فَضْلِ عِلْم الكتابة، لِمَا فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيطُ بها إلَّا هو. وما دُوِّنت العلوم، ولا قُيِّدت الحِكَم، ولا ضُبطتْ أخبارُ الأوَّلين ومقالاتُهم، ولا كُتبُ اللَّهِ المُنْزَلةُ، إلا بالكتابة، ولولا هي ما استقامتْ أمورُ الدِّينِ والدنيا. وسُمِّي قلماً لأنَّه يُقْلَم، أي: يُقْطَع، ومنه تقليمُ الظفرِ. وقال بعضُ الشعراءِ المحدثين يصفُ القلم:

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٣٠٥.

(٢) الوسيط ٤/ ٥٢٨، وتفسير البغوي ٤/ ٥٠٧.

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٢٧، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣١٩ لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

فكأنه والحِبْرُ يَخْضِبُ رأسَهُ ... شيخٌ لوَصْلِ خَرِيدةٍ[1] يَتَصَنَّعُ
لِمَ لا[2] أُلاحظُه بعينِ جَلالةٍ ... وبه إلى اللهِ الصَّحائفُ تُرفعُ

وعن عبد الله بن عمرو[3] قال: يا رسولَ الله، أأكتبُ ما أسمعُ منك من الحديث؟ قال: «نعم فاكتبْ، فإنَّ الله عَلَّم بالقلم»[4].

وروى مجاهدٌ عن ابن عمر قال: خَلَقَ الله عزَّ وجلَّ أربعةَ أشياءَ بيده، ثم قال لسائر الحيوان: كن، فكان. القلمَ، والعَرْشَ، وجنةَ عَدْنٍ، وآدمَ عليه السلام[5].

وفيمَن علَّمه بالقلم ثلاثةُ أقاويلَ:

أحدها: أنَّه آدمُ عليه السلام؛ لأنه أوّلُ مَن كَتَب؛ قاله كعبُ الأحْبار.

الثاني: إدريسُ، وهو أولُ مَن كتب؛ قاله الضحاك.

الثالث: أنه أَدْخَل كلَّ مَن كتب بالقلم؛ لأنه ما عَلِم إلَّا بتعليم الله سبحانه، وجمع بذلك [بينَ] نعمتِه عليه في خَلْقه، وبينَ نعمته عليه في تعليمه؛ استكمالاً للنعمة عليه[6].

الثانية: صحَّ عن النبيِّ ﷺ من حديث أبي هُريرة، قال: لمَّا خَلَق الله الخَلْقَ كَتب في كتابه - فهو عنده فوق العرش -: «إنَّ رحمتي تَغْلِبُ غَضَبي»[7].

---

(١) هي البكر لم تُمسَسْ. القاموس (خرد).

(٢) في النسخ: ألا، بدل: لم لا، والمثبت من زهر الآداب للقيرواني ١/ ٥١٨، وقد ذكر البيتين ضمن قصيدة في وصف المحبرة والقلم، ولم ينسبها.

(٣) في النسخ: عمر، والمثبت هو الصواب.

(٤) أخرجه بهذا اللفظ القزويني في أخبار قزوين ٢/ ٣٧، وأخرجه أحمد (٦٩٣٠) بلفظ: ... أكتب ما أسمع منك؟ قال: «نعم»، قلت: في الرضا والسخط؟ قال: «نعم، فإنه لا ينبغي لي أن أقول في ذلك إلا حقًّا».

(٥) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٧٢٩) و(٧٣٠). وذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٠٥، وفيهما: لسائر الخلق، بدل: لسائر الحيوان.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٣٠٥، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٧) أخرجه أحمد (٨٩٥٨)، والبخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٥٧١).

وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «أوّلُ ما خَلَقَ الله: القلمُ، فقال له: اكتُبْ، فكَتب ما يكون إلى يوم القيامة، فهو عنده في الذِّكر فوقَ عَرْشِه»(١).

وفي الصحيح من حديث ابن مسعود: [أنه](٢) سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا مرَّ بالنطفة ثنتان وأربعون ليلةً، بعث الله إليها مَلَكاً فصوَّرها، وخَلَق سَمْعَها وبَصَرَها، وجِلْدَها ولحمها وعَظْمَها، ثم يقول: يا ربّ، أذَكَرٌ أم أنثى؟ فيقضي ربُّك ما شاء ويكتب المَلَك، ثم يقول: يا ربّ أَجَلُه، فيقول ربُّك ما شاء ويكتب الملك، ثم يقول: يا رب رزقُه، فيقضي ربُّك ما شاء، ويكتبُ المَلك، ثم يخرج الملكُ بالصحيفة في يده، فلا يَزيدُ على ما أُمِرَ ولا يَنْقُصُ» وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠-١١].

قال علماؤنا: فالأقلامُ في الأصل ثلاثةٌ:

القلمُ الأوّل: الذي خَلقَه اللهُ بيده، وأَمَره أن يكتب.

والقلم الثاني: أقلامُ الملائكةِ، جعلها الله بأيديهم يكتبون بها المقاديرَ والكوائن والأعمال.

والقلم الثالث: أقلامُ الناسِ، جَعَلها الله بأيديهم، يكتبون بها كلامهم، ويَصِلُون بها [إلى] مآرِبهم(٣). وفي الكتابة فضائلُ جَمَّةٌ. والكتابةُ من جملةِ البيان، والبيانُ مما اختُصَّ به الآدميُّ.

الثالثة: قال علماؤنا: كانت العربُ أقلَّ الخَلْقِ معرفةً بالكتابة، وأقلُّ العربِ

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٤٤، وهذه قطعة من حديث عبادة بن الصامت ﷺ، أخرجه أحمد (٢٢٧٠٥) وأبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٣٣١٩) دون قوله: فهو عنده في الذكر فوق عرشه. قال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق، والحديث عن حذيفة بن أسيد الغفاري، وليس عن ابن مسعود كما ذكر المصنف. وهو في صحيح مسلم (٢٦٤٥)، ومسند أحمد (١٦١٤٢)، وسلف ١٤/ ٣١٤.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٤٤، وما بين حاصرتين منه.

معرفةً به المصطفى ﷺ؛ صُرِف عن عِلْمِه، ليكون ذلك أَثْبَتَ لمعجزته، وأقوى في حجته[١]، وقد مضى هذا مبيَّناً في سورة العنكبوت[٢].

وروى حَمَّاد بنُ سَلَمة عن الزبير بن عبد السلام، عن أيوب بن عبد الله الفِهْرِيّ، عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُسْكِنوا نساءَكم الغُرَفَ، ولا تعلِّموهنَّ الكتابةَ»[٣]. قال علماؤنا: وإنَّما حذَّرهم النبيُّ ﷺ ذلك؛ لأنَّ في إسكانهنَّ الغُرَفَ تطلُّعاً إلى الرجال، وليس في ذلك تحصينٌ لهنَّ ولا تستُّرٌ. وذلك أنهنَّ لا يَملِكْنَ أنفسهنَّ حتى يُشْرِفْنَ على الرجال، فتَحْدُثُ الفتنةُ والبلاءُ، فحذَّرهم أن يجعلوا لهنَّ غُرَفاً ذريعةً إلى الفتنة[٤]. وهو كما قال رسول الله ﷺ: «ليس للنساءِ خيرٌ لهنَّ مِن ألَّا يراهنَّ الرجالُ، ولا يَرَيْنَ الرجالَ»[٥]. وذلك أنَّها خُلِقَتْ من الرجل، فهمَّتها[٦] في الرجل، والرجلُ خُلِقتْ فيه الشهوةُ، وجُعِلَتْ سَكَناً له، فغيرُ مأمونٍ كلٌّ واحدٍ منهما في صاحبه.

وكذلك تعليمُ الكتابةِ ربَّما كانتْ سبباً للفتنة، وذلك إذا عُلِّمَتِ الكتابةَ كتَبتْ إلى مَن تَهوَى. والكتابةُ عينٌ من العيون، بها يُبْصِرُ الشاهِدُ الغائبَ، والخطُّ هو آثارُ يده،

(١) المصدر السابق.

(٢) عند تفسير الآية (٤٨) منها.

(٣) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ١٧٣ - ١٧٤ من حديث ابن عباس وعائشة، وذكره عن ابن مسعود الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ص ٢٧٠ - ٢٧١ ، والكلام منه، وقد سلف الحديث ٥/ ٤٤ ، وينظر الكلام عليه ثَمة.

(٤) العبارة في نوادر الأصول ص ٢٧١ (والكلام منه): فحذرهم من أن يجعلوا لها ذريعة إلى الفتنة.

(٥) أخرجه البزار (٥٢٦)، وأبو نعيم في الحلية ٢/ ٤١ من حديث علي ﷺ، وفيه أن فاطمة رضي الله عنها هي التي قالت هذا القول، فذكر علي ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «إنما فاطمة بضعة مني». وفي إسناده علي بن زيد، وهو ضعيف كما ذكر الحافظ في مختصر زوائد البزار ١/ ٥٦٧ . وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٢/ ٤٠ من حديث أنس ﷺ. وفي مسألة نظر المرأة إلى الرجل الأجنبي خلاف بين العلماء، وينظر في ذلك ما ذكره الحافظ في الفتح ٩/ ٣٣٦ .

(٦) في (د) و(م): فنهمتها، وفي (ظ): فتهمتها، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في نوادر الأصول.

وفي ذلك تعبيرٌ عن الضمير بما لا يَنْطِق[١] به اللسان، فهو أَبْلغُ من اللسان. فأحبَّ رسولُ الله ﷺ أن يَقْطَعَ[٢] عنهنَّ أسبابَ الفتنة؛ تحصيناً لهنَّ، وطهارةً لقلوبهنّ.

قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾

قيل: «الإنسان» هنا آدمُ عليه السلامُ؛ علَّمه أسماءَ كلِّ شيءٍ، حَسْبَ ما جاء به القرآنُ في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]. فلم يَبْقَ شيءٌ إلَّا وعلَّم سبحانه آدمَ اسمَه بكلِّ لغةٍ، وذَكَره آدمُ للملائكة كما عُلِّمه. وبذلك ظَهر فضلُه، وتبيَّن قَدْرُه، وثبَتَتْ نبوَّتُه، وقامت حجةُ اللهِ على الملائكة وحجتُه[٣]، وامتثلتِ الملائكةُ الأمرَ لِمَا رأتْ من شَرَفِ الحال، ورأتْ من جلالِ القدرةِ، وسمعتْ من عظيم الأمر. ثم توارثَتْ ذلك ذرِّيتُه خَلَفاً بعدَ سَلَفٍ، وتَناقلوه قوماً عن قوم. وقد مضى هذا في سورة البقرة مستوفًى[٤]، والحمد لله.

وقيل: «الإنسانُ» هنا: الرسولُ محمدٌ ﷺ، دليلُه قولُه تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣]. وعلى هذا فالمرادُ بـ «علَّمك» المستقبلُ؛ فإنَّ هذا من أوائل ما نزل. وقيل: هو عامٌّ لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨].

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ إلى آخر السورة. قيل: إنَّه نزل في أبي جَهْلٍ. وقيل: نزلت السورةُ كلُّها في أبي جهل؛ نَهَى النبيَّ ﷺ عن الصلاة، فأمر الله نبيَّه ﷺ أنْ يُصلِّيَ في المسجد ويقرأ باسم الربِّ، وعلى هذا فليست السورةُ من أوائل ما نزل.

---

(١) في (م): ينطلق، والمثبت من النسخ الخطية ونوادر الأصول.

(٢) في النسخ: ينقطع، والمثبت من نوادر الأصول.

(٣) قوله: وحجته، ليس في (د) و(ي).

(٤) ١/ ٤٢٠ .

ويجوزُ أن يكون خمسُ آياتٍ من أوَّلها أوَّلَ ما نزلت، ثم نزلت البقيةُ في شأن أبي جهل، وأُمر النبيُّ ﷺ بضمِّ ذلك إلى أوّل السورة؛ لأنَّ تأليفَ السُّوَرِ جرى بأمرٍ من الله. أَلَا ترى أنَّ قولَه تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] آخِرُ ما نَزل، ثم هو مضمومٌ إلى ما نزل قَبْلَه بزمانٍ طويل[١].

و«كَلَّا» بمعنى حَقًّا؛ إذ ليس قبله شيءٌ. والإنسانُ هنا: أبو جهل. والطغيانُ: مجاوزةُ الحدِّ في العصيان.

﴿أَن رَّءَاهُ﴾ أي: لأنْ رأى نفسَه استَغْنَى، أي: صار ذا مالٍ وثروةٍ. وقال ابن عباس في روايةِ أبي صالحٍ عنه، قال: لمَّا نزلتْ هذه الآيةُ وسمع بها المشركون، أتاه أبو جهلٍ فقال: يا محمدُ، تزعمُ أنه مَن استغنى طغَى! فاجْعَلْ لنا جبالَ مكَّةَ ذهباً، لعلَّنا نأخذُ منها فنَطْغى، فندع دينَنا ونتَّبع دينك. قال: فأتاه جبريلُ عليه السلامُ فقال: يا محمدُ خيِّرهم في ذلك، فإنْ شاؤوا فعلْنا بهم ما أرادوه، فإنْ لم يُسْلموا فَعَلْنا بهم كما فَعَلْنا بأصحابِ المائدة. فعلم رسولُ الله ﷺ أنَّ القوم يَقْبَلون[٢] ذلك، فكفَّ عنهم إبقاءً عليهم[٣].

وقيل: «أَنْ رَآه اسْتَغْنَى» بالعشيرة والأنصار والأعوان. وحذف اللام من قوله: «أن رآه»، كما يقال: إنكم لَتَطْغَون أن رأيتُم غِناكم[٤]. وقال الفرَّاء: لم يقل: رأى نفسَه، كما قيل: قَتَل نفسَه؛ لأنَّ رأى من الأفعال التي تريد اسماً وخبراً، نحو الظنِّ والحِسبان، فلا يُقْتَصَر فيه على مفعولٍ واحد. والعربُ تطرحُ النفسَ من هذا الجنس تقول: رأيتُني وحَسِبتُني، ومتى تَرَاكَ خارجاً، ومتى تظنُّكَ خارجاً[٥].

---

(١) تفسير الرازي ٣٢/ ١٨ .

(٢) في (م): لا يقبلون.

(٣) ذكره بنحوه الزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٧١ ، وقال الحافظ في تخريج أحاديث الكشاف ص ١٨٦ : لم أجده.

(٤) تفسير الرازي ٣٢/ ١٩ عن الأخفش.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٧٨ ، وتفسير الرازي ٣٢/ ١٩ .

وقرأ مجاهدٌ وحميد، وقنبل عن ابن كثير: «أن رَأَهُ اسْتَغنَى» بقَصْر الهمزة(١). الباقون: «رآه» بمدِّها، وهو الاختيارُ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨﴾

أي: مَرْجِعَ مَن هذا وَصْفُه، فيجازيه. والرُّجْعَى والمَرْجِعُ والرُّجوع مصادِرُ؛ يقال: رجع إليه رجوعاً ومَرْجِعاً، ورُجْعَى على وزن فُعلَى.

قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠﴾

قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾ وهو أبو جهل ﴿عَبْدًا﴾ وهو محمدٌ ﷺ. فإنَّ أبا جهل قال: إنْ رأيتُ محمداً يصلِّي لأَطأنَّ على عنقه؛ قاله أبو هُريرةَ. فأنزل الله هذه الآياتِ تعجُّباً منه(٢).

وقيل: في الكلام حذفٌ، والمعنى: أَمِنَ هذا الناهي عن الصلاةِ مِن العقوبة.

قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢﴾

أي: أَرأيتَ يا أبا جهلٍ إنْ كان محمدٌ على هذه الصِّفة، أليس ناهِيْهِ عن التقوى والصلاةِ هالكاً؟!

قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤﴾

يعني أبا جهلٍ كذَّب بكتاب الله عزَّ وجلَّ، وأَعْرَضَ عن الإيمان. وقال الفرَّاء: المعنى: «أرأيتَ الذي ينهى عبدًا إذا صلَّى» وهو على الهدى، آمرٌ(٣) بالتقوى، والناهي مكذِّبٌ مُتولٍّ عن الذِّكر، أي: فما أَعْجبَ هذا! ثم يقول: وَيْلَه! أَلَمْ يعلم أبو جهلٍ بأنَّ الله يرى(٤)، أي: يراه ويعلمُ فِعْلَه، فهو تقريرٌ وتوبيخٌ.

---

(١) السبعة ص ٦٩٢، والتيسير ص ٢٢٤ عن قنبل.

(٢) أخرجه مطولاً أحمد (٨٨٣١)، ومسلم (٢٧٩٧).

(٣) في (م): وآمر، وفي (ظ): أو آمر.

(٤) الوسيط ٤/ ٥٢٩، وتفسير البغوي ٤/ ٥٠٨، والكلام بنحوه في معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٧٨ - ٢٧٩.

وقيل: كلٌّ واحدٍ من «أرأيت» بَدَلٌ من الأوّل، و«أَلَمْ يعلم بأنَّ الله يَرَى» الخبرُ.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ أي: أبو جهلٍ عن أذاكَ يا محمدُ ﴿لَنَسْفَعًا﴾ أي: لنأخُذَنْ ﴿بِالنَّاصِيَةِ﴾ فلَنُذِلَّنه. وقيل: لنأخذنَّ بناصيته يومَ القيامة، وتُطْوَى مع قدميه، ويطرحُ في النار، كما قال تعالى: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١]. فالآيةُ ـ وإن كانت في أبي جهلٍ ـ فهي عِظةٌ للناس، وتهديدٌ لمن يمتنعُ أو يمنعُ غيرَه عن الطاعة. وأهلُ اللغة يقولون: سَفَعْتُ بالشيء: إذا قبضت عليه وجَذَبته جذباً شديداً، ويقال: سَفَع بناصية فرسِه؛ قال:

قَومٌ إذا كَثُر الصياحُ رأيتَهمْ مِن بينِ مُلْجِمِ مُهْرِهِ أو سافِعِ(١)

وقيل: هو مأخوذٌ من سَفَعَتْه النارُ والشمسُ: إذا غيَّرت وجهَه إلى حالِ تَسْويدٍ، كما قال:

أثافيَّ سُفعاً في مُعَرَّسِ مِرْجَلٍ ونُؤْيٍ كجِذْمِ الحوضِ أَثْلَمَ خاشِعِ(٢)

---

(١) نسبه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٣ لعمرو بن معد يكرب، وهو دون نسبة في سيرة ابن هشام ١/ ٣١١، وتهذيب اللغة ٢/ ١٠٨، والصحاح (سفع)، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/ ٢٩، وأساس البلاغة (سفع).

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى، وهو في شرح المعلقات للنحاس ١/ ١٠١، وللتبريزي ص ١٢٨، برواية: ونؤياً كجذم الحوض لم يتثلم، ورواية الديوان ص ٧: ونؤيًا كحوض الجُدِّ لم يتثلم. قال النحاس: الأثافي: الحجارة التي تجعل عليها القدر، الواحدة: أُثْفِيَّة. والسُّفْع السود. والمعرَّس هنا: الموضع الذي يكون فيه المِرْجل، وكل موضع يقام فيه يقال له: معرَّس. والمرجل: كل قِدْرٍ يطبخ فيها. والنؤي: حاجز يجعل حول الخباء يمنع من السيل. وقال شارح الديوان: جذم الحوض: حرفه وأصله. لم يتثلم: يعني النؤي، قد ذهب أعلاه ولم يتثلم ما بقي منه. ونصب أثافيّ بما قبله، وهو قوله: فلأْياً عرفت الدار بعد توهُّم، أراد: بعد تَوهمي أثافيَّ سُفْعاً. وعجز البيت الذي عند المصنف جاء في قصيدة للنابغة في ديوانه ص ٧٩ برواية:

رمادٌ ككحلِ العينِ لأياً أبينُه ونؤيٌ كجذم الحوض أثلمُ خاشعُ

والخاشع: اللاصق بالأرض.

والناصية: شعرُ مقدَّمِ الرأس. وقد يعبَّر بها عن جملةِ الإنسان، كما يقال: هذه ناصيةٌ مبارَكةٌ؛ إشارةً إلى جميع الإنسان(١). وخصَّ الناصيةَ بالذِّكرِ على عادة العربِ فيمَن أرادوا إذلالَه وإهانتَه أخذوا بناصيته.

وقال المبرِّد: السَّفْع: الجذبُ بشدَّةٍ؛ أي: لَنَجُرَّنَّ بناصيته إلى النار.

وقيل: السَّفْعُ: الضَّرْبُ، أي: لنلطُمَنَّ وجهَه. وكلُّه متقارِبُ المعنى. أي: يُجمَعُ عليه الضربُ عند الأَخْذِ، ثم يجرُّ إلى جهنم.

ثم قال على البدَلِ: ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ أي: ناصية أبي جهلٍ كاذبة في قولها، خاطئة في فِعْلِها. والخاطئُ معاقَبٌ مأخوذٌ. والمخطئُ غيرُ مأخوذٍ.

ووصفُ الناصيةِ بالكاذبةِ الخاطئة، كوَصْفِ الوجوهِ بالنَّظَرِ في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]. وقيل: أي: صاحبُها كاذبٌ خاطِئٌ، كما يقال: نهارُه صائمٌ، وليلُه قائم، أي: هو صائمٌ في نهاره، قائمٌ في ليله(٢).

قوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ أي: أهلَ مجلسِه وعشيرته، فليَسْتَنْصِرْ بهم. ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ أي: الملائكةَ الغِلاظَ الشِّدادَ؛ عن ابن عباس وغيره(٣). واحدُهم زِبْنِيٌّ؛ قاله الكسائيُّ(٤). وقال الأخفش(٥): زابِنٌ. أبو عبيدةَ: زِبْنِيَة(٦). وقيل: زَبَانِيّ. وقيل: هو اسمٌ للجمع، كالأبابيل والعباديد(٧).

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٣٠٨.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٤٥.

(٣) ذكره الزجاج ٥/ ٣٤٦ دون نسبة، وابن الجوزي ٩/ ١٧٩ عن عطاء.

(٤) ذكره عنه الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٨٠.

(٥) في معاني القرآن ٢/ ٧٤١.

(٦) مجاز القرآن ٢/ ٣٠٤.

(٧) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٧٤١.

وقال قتادةُ: هم الشُّرَطُ في كلام العرب[١]. وهو مأخوذٌ من الزَّبْن وهو الدَّفْعُ، ومنه المُزابنةُ في البيع[٢].

وقيل: إنَّما سُمُّوا الزبانيةَ لأنَّهم يعملون بأَرْجُلِهم، كما يعملون بأيديهم؛ حكاه أبو الليث السَّمَرْقنديُّ رحمه الله، قال: ورُوِي في الخبر أنَّ النبيَّ ﷺ لمَّا قرأ هذه السورةَ، وبلغ إلى قوله تعالى: ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ قال أبو جهل: أنا أدعو قومي حتى يمنعوا عنِّي ربَّك. فقال الله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾. فلمَّا سمع ذِكْرَ الزبانيةِ رجع فزِعاً، فقيل له: خَشِيتَ منه؟! قال: لا، ولكنْ رأيتُ عنده فارساً فهدَّدني بالزَّبانية، فما أدري ما الزبانيةُ؟ ومالَ إليَّ الفارس، فخشِيتُ منه أن يأكلني[٣].

وفي الأخبار أنَّ الزبانيةَ رؤوسُهم في السماء وأرجلُهم في الأرض[٤]، فهم يدفعون الكفارَ في جهنم.

وقيل: إنَّهم أعظمُ الملائكةِ خَلْقًا، وأشدُّهم بطشاً. والعربُ تُطْلِق هذا الاسمَ على مَن اشتدَّ بطشُه، قال الشاعر:

مَطاعيمُ في القُصْوَى مَطاعينُ في الوَغَى ... زَبانيةٌ غُلْبٌ عِظامٌ حلُومُها[٥]

وعن عكرمةَ عن ابن عباس: «سَنَدْع الزَّبانِية» قال: قال أبو جهل: لئن رأيتُ محمداً يصلِّي لأطأنَّ على عنقه. فقال النبيُّ ﷺ: «لو فعل لأَخَذَتْه الملائكةُ عِياناً». قال

---

(١) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٨٤ .

(٢) المزابنة: بيع الرُّطَب على رؤوس النخل بالتمر كيلاً، وكذلك كل ثمر بيع على شجرة بثمر كيلاً، ونهي عنها لما يقع فيها من الغبن والجهالة، ولأن البيِّعَيْن إذا وقفا فيه على الغبن أراد المغبون أن يفسخ البيع، وأراد الغابن أن يمضيه، فتزابنا فتدافعا واختصما. ينظر اللسان (زبن).

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٩٥ .

(٤) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٤٠ عن عبد الله بن أبي الهذيل قوله.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٣٠٨ - ٣٠٩ ، والبيت لابن الزِّبَعْرى، كما في سيرة ابن هشام ١/ ٣١٢ ، وفيه المَقْرَى، بدل: القصوى. الغُلب: جمع أغلب، وهو الغليظ الرقبة، وهم يَصِفون السادة بغلظ الرقبة وطولها. اللسان (غلب).

أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ(١).

ورَوى عِكرمةُ عن ابن عباس قال: مرَّ أبو جهل بالنبيِّ ﷺ وهو يصلِّي عند المَقام، فقال: أَلَمْ أَنْهكَ عن هذا يا محمد! فأَغْلَظَ له رسولُ الله ﷺ، فقال أبو جهل: بأيِّ شيءٍ تهدِّدني يا محمد! والله إنِّي لأكثرُ أهلِ الوادي هذا ناديًا، فأنزل الله عز وجل: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ . سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾. قال ابن عباس: والله لو دعا نادِيَه لأَخَذَتْه زبانيةُ العذابِ من ساعته. أخرجه الترمذيُّ بمعناه، وقال: حسنٌ غريبٌ صحيحٌ(٢).

والنادي في كلام العرب: المجلسُ الذي ينتدي فيه القوم، أي: يجتمعون، والمرادُ: أهلُ النادي، كما قال جرير:

لـهـم مَـجـلِـسٌ صُـهْـبُ الـسِّـبـالِ أَذِلَّـةٌ(٣)

وقال زهير:

وفـيـهـمْ مَـقـامـاتٌ حِـسـانٌ وُجُـوهـهـم(٤)

وقال آخر:

واسْتَبَّ بـعـدَك يا كُـلَيبُ الـمـجلِسُ(٥)

وقد ناديتُ الرجلَ أُنادِيه: إذا جالسته؛ قال زهير:

---

(١) سنن الترمذي (٣٣٤٨)، وهو عند أحمد (٢٢٢٥)، والبخاري (٤٩٥٨).

(٢) سنن الترمذي (٣٣٤٩)، وأخرجه أيضاً أحمد (٢٣٢١)، والنسائي في الكبرى (١١٦٢٠)، والطبري ٢٤/ ٥٣٧ .

(٣) وعجزه: سواسيةٌ أحرارُها وعبيدها، والبيت لذي الرمة في ديوانه ٢/ ١٢٣٥ ، وليس لجرير كما ذكر المصنف نقلاً عن الكشاف ٤/ ٢٧٢ ، على أن الزمخشري ذكره في أساس البلاغة (جلس) ونسبه لذي الرمة. قال شارح الديوان: قوله: صهب السبال، أي: هم عجم، ليسوا بعرب، ولا يقال: سواسية، إلا في الهجاء. أما في الخير فيقال: سواء. اهـ. والسبال جمع سَبَلة، وهي ما على الشارب من الشعر، أو ما على الذقن إلى طرف اللحية. والصَّهَب: حمرة أو شقرة في الشعر، والأعداء صُهْب السبال وإن لم يكونوا كذلك. القاموس (صهب) و(سبل).

(٤) ديوان زهير ص ١١٣ ، والكشاف ٤/ ٢٧٢ ، وعجزه: وأندية ينتابها القول والفعل. وسلف ٢/ ٣٧٤ .

(٥) وصدره: نُبِّئْتُ أن النار بعدك أُوْقِدَتْ، والبيت للمهلهل بن ربيعة، وسلف ١/ ٢٣٩ .

وجارُ البيتِ والرجلُ المنادي أمامَ الحيِّ عَقْدُهما سَواءُ[١]

قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾

﴿كَلَّآ﴾ أي: ليس الأمر على ما يظنُّه أبو جهل. ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ أي: فيما دعاك إليه مِن تَرْكِ الصلاة. ﴿وَٱسْجُدْ﴾ أي: صلِّ لِله ﴿وَٱقْتَرِب﴾ أي: تقرَّبْ إلى الله جلَّ ثناؤه بالطاعة والعبادة. وقيل: المعنى: إذا سجدتَ فاقتربْ من الله بالدعاء؛ روى عطاءٌ عن أبي هريرةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «أقربُ ما يكونُ العبد من ربِّه، وأحبُّه إليه، ما كانت جَبْهَتُه في الأرض ساجداً لله»[٢].

قال علماؤنا: وإنما ذلك لأنَّها نهايةُ العبوديةِ والذِّلَّة، ولله غايةُ العِزَّة، وله العزةُ التي لا مِقْدارَ لها، فكلَّما بَعُدْتَ من صِفَتِه، قربتَ مِن جنَّته، ودَنَوْت من جِوَاره في دارِه[٣]. وفي الحديث الصحيح: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أمَّا الركوعُ فعظِّموا فيه الربَّ. وأمَّا السجودُ فاجتهِدوا في الدعاء، فإنه قَمِنٌ أن يُسْتجابَ لكُم»[٤]. ولقد أَحْسَنَ مَن قال:

وإذا تذلَّلتِ الرقابُ تواضُعًا منَّا إليك فعِزُّها في ذلِّها[٥]

وقال زيد بن أسلم: اسجُدْ أنت يا محمدُ مصلِّياً، واقترِبْ أنت يا أبا جهلٍ من النار[٦].

قوله تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ﴾ هذا السجودُ يحتملُ أن يكون بمعنى السجودِ في الصلاة، ويحتملُ أن يكون سجودَ التلاوةِ في هذه السورة. قال ابن العربيّ: والظاهِرُ أنه سجودُ

---

(١) ديوان زهير ص ٨٠.

(٢) أخرجه الحاكم ٢/ ٦٩٠، وذكره المزي في تهذيب الكمال ٧/ ٣٧٣، وفي إسناده حميد بن أبي سويد المكي، قال عنه الحافظ في التقريب: مجهول. اهـ. واللفظ الصحيح عند مسلم (٤٨٢) وهو: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء» وقد سلف ١٢/ ٢٦٣.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٤٨.

(٤) أخرجه أحمد (١٩٠٠)، ومسلم (٤٧٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وسلف ١/ ٢٦٥.

(٥) البيت لأبي إسحاق الصابي، وسلف ١١/ ١٢٩.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٣٠٩.

الصلاةِ؛ لقوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ . عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ إلى قوله: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾، لولا ما ثبت في الصَّحيح من روايةِ مسلم وغيره من الأئمة عن أبي هريرة أنه قال: سجدتُ مع رسولِ الله ﷺ في ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾، وفي ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ سجدتين. فكان هذا نصًّا على أنَّ المراد سجودُ التلاوة(١).

وقد رَوى ابنُ وهبٍ، عن حماد بن زيد، عن عاصم بن بَهْدلة، عن زِرّ بن حُبَيش، عن عليّ بن أبي طالب ﷺ، قال: عزائمُ السجودِ أربع: «ألم» و«حم. تنزيل من الرحمن الرحيم» و«النجم» و«اقرأ باسم ربك»(٢). وقال ابن العربيّ(٣): وهذا إنْ صحَّ يلزمُ عليه السجودُ الثاني من سورة الحج وإنْ كان مقترناً بالركوع؛ لأنه يكون معناه: اركعوا في موضع الركوع، واسجدوا في موضع السجود. وقد قال ابن نافع ومطَرِّفٌ: وكان مالكٌ يسجدُ في خاصةِ نَفْسِه بخاتمةِ هذه السورة من «اقرأ باسم ربِّك» وابنُ وهبٍ يراها من العزائم.

قلت: وقد روينا من حديث مالك بن أنس، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، عن نافع، عن ابن عمر قال: لمَّا أنزل الله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ قال رسول الله ﷺ لمُعاذ: «اكتُبْها يا معاذ» فأخذ معاذٌ اللوحَ والقلم والنونَ ـ وهي الدواةُ ـ فكتبها معاذ، فلمَّا بلغ ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب۩﴾ سجد اللوحُ، وسجد القلم، وسجدت النون، وهم يقولون: اللهمَّ ارْفَعْ به ذِكراً، اللهمَّ احْطُطْ به وِزراً، اللهم اغفِرْ به ذنباً. قال معاذ: سجدتُ، وأخبرتُ رسولَ الله ﷺ فسجد(٤).

خُتمت السورةُ، والحمد لله على ما فَتَحَ ومَنَحَ وأَعْطَى. وله الحمدُ والمِنَّة.

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/١٩٤٨ ، والحديث في صحيح مسلم (٥٧٨).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/١٩٤٨ ، وأخرجه الحاكم ٢/٥٢٩ من طريق سفيان عن عاصم به. وأخرجه الطبراني في الأوسط (٧٥٨٤) بإسناد آخر عن علي ﷺ.

(٣) في أحكام القرآن ٤/١٩٤٨ .

(٤) ذكره الحافظ في لسان الميزان ١/١٠٠ ، وفي إسناده إبراهيم بن محمد الآمدي الخواص، قال عنه ابن طاهر: أحاديثه موضوعة. وينظر الميزان ١/٦٢ .